المستلزمات الاجتماعية لحصانة الشباب من اخطار الانحراف والجريمة

أ. د. إحسان محمد الحسن
استاذ علم الاجتماع في كلية الاداب بجامعة بغداد
ورئيس الجمعية العراقية للعلوم الاجتماعية

يعد الشباب من اهم الفئات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع العراقي المعاصر نظراً للادوار الانتاجية والخدمية والعلمية والامنية التي يؤدونها والتي لايمكن الاستغناء عنها بأية صورة من الصور[١]. ويؤدي الشباب ادوارهم هذه بنشاط وفاعلية وهمة تفوق تلك التي تقوم بها الفئات الاجتماعية الاخرى لا سيما متوسطي العمر والمسنين. ذلك ان الشباب بحكم أعمارهم الفتية اكثر قدرة وكفاءة على تحمل المسؤوليات والصعاب التي يواجهونها في المجتمع الحديث واكثرها تكيفاً وانسجاماً مع الظروف والمعطيات والتغيرات التي يشهدها المجتمع [٢].

فضلاً عن كون الشباب يعيشون فترة زمنية اطول من الفترة التي يعيشها متوسطو العمر والمسنون[٣] .لهذا يعتمد مجتمعنا الناهض على الشباب اعتماداً كبيراً لأنهم الخزين الحيوي الذي لاينضب، الخزين الذي يرفد الوطن والامة بالطاقات والامكانات والكفاءات[٤].في الاوضاع الراهنة التي يعيشها مجتمعنا الناهض، اوضاع الديمقراطية والحرية والبناء ومواجهة موجات العنف والارهاب والتخريب التي راحت تهدد أمن واستقرار وطمأنينة شعبنا ووطنا وأمتنا ارتفعت معدلات الجنوح والجريمة لاسباب معروفة وتفشت مظاهر الضياع بين اوساط لايستهان بها من الشباب ومنهم مع الاسف الشديد عدد من طلبة الاعداديات والمعاهد والكليات والجامعات [٥] . والاسباب المسؤولة عن تفشي مظاهر الانحراف والضياع بين اوساط الطلبة والشباب ترجع الى الفقر والعوز المادي وسوء التنشئة الاسرية والمجتمعية وضعف وسائل الضبط الاجتماعي وتفاقم مظاهر الاحباط والعدوان والتقاطع بين أهداف وتوجهات

الجماعات المؤسسية التي ينتمي اليها الطلبة والشباب وصعوبة مجريات الحياة وتفاقم الضغوط المسلطة على الافراد التي غالباً ما تنتج في ظهور الامراض العصابية والذهانية، هذه الامراض التي قد تكون من اسباب الجريمة والانحراف [٦]. كل هذه الأسباب الموضوعية والذاتية تفسر ضياع بعض الشباب وسقوطهم في هاوية الانحراف، في الوقت الذي يطمح القادة والمربون والمصلحون ان يكون الشباب عنصراً فاعلاً في تحصين المجتمع من الجريمة وتحريرهم من شرور التمرد والعصيان والعنف والارهاب بحكم حسهم الوطني وحماسهم الجماهيري وثقافتهم الجديدة وتحصيلهم العلمي الرفيع الذي يفوق ذلك الذي يتمتع به الاباء والاجداد.

لذا علينا نحن الاساتذة والمربون والمصلحون ان نهتم بتحصين الشباب من شرور الانحراف وتحويلهم الى عناصر فاعلة في حماية المجتمع من الجنوح والشذوذ والجرائم التي اخذت تتحدى كيانه وتسيء الى سمعته وتخل بأجهزته الضبطية والامنية. ان هذه الدراسة تهتم بسبل تحصين الشباب من أخطار الانحراف والضلالة. وهذه السبل يمكن تسميتها بالمهام الوقائية للحماية والتي يمكن درجها بالنقاط التالية:

١ – اشباع الحاجات الاساسية والاجتماعية للشباب.

٢ – تنمية اساليب التنشئة الاجتماعية للشباب.

٣ – تعميق الوعي الاجتماعي والقيمي عند الشباب .

٤ – حث الشباب على التدريب والتحصيل العلمي.

٥ – استثمار الشباب لاوقات الفراغ وتحويلها الى اوقات ترويح .

٦ – توفير العمل والخدمات الترويحية الايجابية للشباب.

علماً بان هذه المهام الوقائية للحماية تعد بمثابة التوصيات والمعالجات التي من شأنها ان تحصن الطلبة والشباب من أخطار الانحراف والضياع. وقبل دراسة وتحليل هذه المهام مفصلاً علينا دراسة منهجية البحث العلمي التي اعتمد عليها الباحث في اشتقاق المعلومات والحقائق وتصنيفها وتنظيرها .

- منهجية البحث العلمي:

يستخدم بحث المستلزمات الأساسية لحصانة الشباب منهجين أساسيين هما المنهج الاستنتاجي أو الاستقرائي (Inductive Method) والمنهج الاستنباطي (Deductive Method) . وقد ساعد المنهجان الباحث في جمع البيانات والمعلومات وتحليلها في تفسير الجريمة واسبابها وطرق الوقاية منها. ينطوي المنهج الاستنتاجي على حقيقة التوصل الى العمومية وهي الجريمة من الخصوصية وهي العوامل المسببة لها كالحاجة المادية والفقر وسوء التنشئة الاجتماعية وضعف وسائل الضبط الاجتماعي والاحباط والعدوان .. الخ [٧]. كما ان المنهج الاستنتاجي يساعدنا في التعرف على العمومية وهي الوقاية من الجريمة من الخصوصية التي هي العوامل المساعدة على الوقاية كاشباع الحاجات الأساسية والاجتماعية وتنمية أساليب التنشئة وتعميق الوعي الاجتماعي والقيمي عند الشباب.

اما المنهج الاستنباطي فيخدم البحث من خلال التوصل الى الخصوصية بعد معرفة العمومية[٨].فالعمومية هي الوقاية من الجريمة، بينما الخصوصية هي العوامل والمتغيرات المطلوب توفرها لبلوغ الوقاية من الجريمة كاشباع الحاجات المادية وغير المادية وتطوير اساليب التنشئة الاجتماعية وحث الشباب على التدريب والتحصيل العلمي واستثمار الشباب للوقت الحر .. الخ .

ان استخدام كلا المنهجين الاستنتاجي والاستنباطي قد مكن الباحث من التعرف على ماهية العوامل والمتغيرات التي من شأنها ان تحصن الشباب من الجريمة .

- المستلزمات الاساسية لصيانة الشباب من اخطار الانحراف:

تحدد هذه المستلزمات بالنقاط التالية :

١- اشباع الحاجات الاساسية والاجتماعية للشباب :

يعرف علماء الاجتماع الحاجات بانها رغبة نفسية واجتماعية قوية تنتاب الفرد وتدفعه الى تكوين العلاقات الانسانية مع الغير والتعاون معهم بغية سد الحاجة لذاته والاخرين، وان سدها واشباعها يمكنه أو يمكنهم من النشاط لصالح الجماعة

والمجتمع [٩]. ان من اهم حاجات الانسان هي الحاجات الاساسية التي يتوقف على اشباعها بقائه حياً واستمرار نشاطه وتنمية قدراته التفكيرية والجسمية والابداعية التي لابد منها في المجتمع المتحضر.

ان للانسان المتحضر العديد من الحاجات الاساسية المطلوب اشباعها والا تعرض الانسان الى الخمول والكسل والمرض والتلكوء في اداء المهام وضعف الشعور بالمسؤولية. ومن الجدير بالذكر ان الحاجات الاساسية التي ينبغي على القادة والمسؤولين توفيرها للشباب لكي تضمن سلوكهم القويم وتبعدهم عن مواطن الانحراف والجريمة الحاجة الى الطعام والشراب والسكن والملابس، بالاضافة الى الحاجة للخدمات الطبية والصحية والحاجة للامن والطمأنينة[١٠]. فاذا تمكن الطلبة والشباب من إشباع حاجاتهم هذه وكانوا متحررين من فاقة العوز والفقر فانهم سيحصنون من الجريمة والانحراف، بينما اذا كانوا ضحية العوز والحاجة وان المجتمع لم يوفر لهم المستلزمات الاساسية التي يحتاجونها في حياتهم اليومية فانهم يكونون عرضة للانحراف والجريمة .

اما المستلزمات التي تشبع الحاجات الاساسية للطلبة والشباب فهي توفر الموارد المادية التي تزودهم بمستلزمات العيش الكريم كالمواد الغذائية والسكن والملابس والراحة والامن والاستقرار وتسهيلات النقل والمواصلات، مع الامكانات المادية التي تساعدهم على اقتناء مستلزمات الدراسة والمستلزمات الاخرى التي تسهل امور حياتهم المعيشية والاجتماعية.

ووقاية الطلبة والشباب من الجريمة لايتطلب اشباع الحاجات الاساسية فحسب بل يتطلب ايضاً اشباع الحاجات الاجتماعية. ذلك ان الحاجات الاجتماعية مكملة للحاجات الاساسية طالما ان الحاجات الاجتماعية وضرورة اشباعها من قبل الشباب تسهم في خلق اجواء التفاعل والتعاون بين جموع الشباب، هذه الاجواء التي تمنعهم من الوقوع في هاوية الانحراف والجريمة. ان الحاجات الاجتماعية التي ينبغي على الشباب اشباعها لتؤدي فعلها المؤثر في حمايتهم من الجريمة والانحراف تعبر عن نفسها في عدة صور لعل اهمها ما يلي :

- ضرورة وجود قنوات للتفاعل والتداخل بين الشباب من جهة وبينهم وبين فئات المجتمع من جهة أخرى . وهذا التفاعل ينبغي ان يتسم بالايجابية لكي يبعد الشباب من أخطار الانحراف والجريمة .

- توحيد وتكامل صيغ التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي لكي تتحقق حالة وحدة الفكر والممارسة عند الشباب، هذه الحالة التي تبعدهم عن الانحراف والجريمة .

- حرية انتماء الشباب الى المنظمات والمؤسسات الاجتماعية ، هذه الحرية التي تمكن الشباب من تحقيق اهدافهم وطموحاتهم. علما بان تحقيق الاهداف يبعدهم عن مخاطر الفشل أو الاحباط الذي يعد اساساً للانحراف والعدوان .

- مواجهة مشكلات الشباب والعمل على حلها. فالشباب يواجهون العديد من المشكلات المطلوب تشخيص اسبابها الموضوعية والذاتية بالدراسة الميدانية ومعرفة آثارها عليهم وعلى مجتمعهم لكي يصار بعد ذلك الى معالجتها ووضع نهاية سريعة لها. علماً بان مواجهة المشكلات الاجتماعية للشباب تسهم في اشباع حاجتهم الاجتماعية وتمكنهم من الاستقرار والتكيف للبيئة التي يعيشون فيها .

- حث الشباب على الاعتراف بقابليات ومهارات بعضهم البعض. ذلك ان مثل هذا الاعتراف يقرب واحدهم للآخر ويكون الوحدة والالفة والمحبة بينهم مما يبعدهم عن شر الانحراف والجريمة ويحصنهم من أخطار الجنوح والحقد والعدوان والتشرذم[١١].

١. تنمية اساليب التنشئة الاجتماعية للشباب :

التنشئة الاجتماعية هي عملية تربية وتعليم الافراد المهارات والقيم والمثل والاخلاق التي تجعلهم مقبولين في المجتمع وفاعلين في وسطه وقادرين على تنميته وتطويره نحو الاحسن والافضل[١٢] . وهناك من عرفها بالسياق الذي يستدخل الافكار والمباديء والسلوكيات المقبولة عند الافراد منذ نعومة اظفارهم لكي يكونوا بعد ذلك اعضاء يعتمد عليهم المجتمع في حاضره ومستقبله[١٣].كما عرفت التنشئة الاجتماعية بعملية تعليم الافراد الادوار التي يشغلونها ويتفاعلون مع الاخرين من خلالها [١٤].

ومهما يكن مفهوم التنشئة الاجتماعية فانها عملية لاتناط بمؤسسة واحدة كالاسرة مثلاً وانما تناط بعدة مؤسسات في ان واحد كالمدرسة والجامع والحزب ووسائل الاعلام الجماهيرية والمجتمع المحلي ومكان العمل.. الخ. فاذا ادت هذه المؤسسات مهامها التنشيئية على احسن وجه ازاء الفرد فان سلوكه وتفاعلاته وقيمه لابد ان تكون جيدة وبالتالي يكون الفرد متكيفا مع المجتمع. والعكس هو الصحيح اذا اخفقت هذه المؤسسات التربوية في مهامها التنشيئية والتقويمية .

وبخصوص علاقة التنشئة الاجتماعية الايجابية في وقاية الشباب من الجريمة تشير الدراسات بان التنشئة الصحيحة التي يتلقاها الشباب من لدن مؤسسات المجتمع تقيهم من شرور الانزلاق في هاوية الانحراف والجريمة، في حين ان التنشئة الخاطئة والملتوية التي يحصل عليها الشباب تكون سبباً واضحاً من اسباب سقوطهم في هاوية الجنوح والانحراف.

ومن الجدير بالذكر ان التنشئة الخاطئة تكون سببا من أسباب الجريمة عند الشباب في حالة توفر ظاهرتين سلبيتين هما :

- جهل المؤسسة المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية بابسط اساليب التنشئة الصحيحة وتقنياتها العلمية .
- التناقض في الاساليب التنشيئية التي تعتمدها المؤسسات في تنشئة الافراد[١٥].

ان افضل أساليب التنشئة التي تعتمدها المؤسسات في تربية أفرادها تتمحور حول النقاط التالية :

١. الرعاية الاجتماعية المكثفة التي تهتم بالفرد وتلازمه وتمنحه الاهتمام المستمر .
٢. الموازنة بين أساليب اللين والشدة عند تربية الفرد وتقويم سلوكه وعلاقاته .
٣. استعمال اساليب الثواب والعقاب عند تربية الفرد والتعامل معه اثناء مرحلة بنائه وتقويمه [١٧].

ان اعتماد المؤسسات التنشيئية لقواعد التربية الاجتماعية هذه عند تربية الشباب لابد ان تحصنهم من الانحراف والجريمة، في حين ان اهمال هذه القواعد التربوية في تنشئة الشباب لابد ان يعرضهم الى الوقوع في اخطار الشذوذ والانحراف.

ومن الجدير بالذكر ان تناقض الرسائل التوجيهية والارشادية والتقويمية التي تعتمدها المؤسسات التربوية كأن تكون الاسرة متساهلة في تربية الابناء ويكون الجامع متشدداً وحازماً معهم قد يجعلهم يبتعدون عن الجامع ويقتربون من الاسرة . ولما كانت أساليب التنشئة الاسرية هشة وغير مؤثرة فان هذا لابد ان يقود الى انحراف الابناء وتلكؤ سلوكهم وعلاقاتهم الانسانية. اما اذا كانت الرسائل الارشادية والتنشيئية التي تعتمدها المؤسسات متكاملة ومتناغمة فان عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها الابناء تكون مؤثرة وفاعلة وبالتالي يكون سلوكهم جيداً وملتزما[١٩]. وهذا ما يحصنهم من الجريمة ويبعدهم عن اخطارها وشرورها .

٣- تعميق الوعي الاجتماعي والقيمي عند الشباب :

من العوامل الاساسية التي تحصن الشباب من الوقوع في هاوية الانحراف والجريمة تعميق وعيهم الاجتماعي والقيمي بالظواهر والتحديات الاجتماعية والقيمية التي تواجههم. وبالوعي الاجتماعي والقيمي نعني الشعور الذي ينتاب الطلبة والشباب وبقية الفئات الاجتماعية نتيجة للظروف الاجتماعية والثقافية والمادية التي يعيشونها والتي تجعلهم متضامنين وموحدين في مجابهة التحديات والصعاب المحيطة بهم[١٩] . ان مظاهر الوعي الاجتماعي التي تجعل الشباب متحصنين من اخطار الجريمة وملابساتها يمكن اجمالها بخمس نقاط مركزية هي على النحو التالي :

١. ادراك الضرر الذي تلحقه الجريمة بالمجتمع والحياة الاجتماعية .

٢. فهم الصلة بين الظروف الصعبة التي يعيشها المجتمع بما فيها الاخطار والتحديات التي تداهم الوطن والامة وظهور الجرائم وسيطرتها على الحياة الاجتماعية .

٣. استيعاب حقيقة الربط بين الجريمة من جهة والفقر والمرض والامية وازدحام السكان في المدن من جهة أخرى .

٤. فهم العلاقة بين الاحباط الذي يصيب الفرد والسلوك العدواني والاجرامي الذي يقوم به نتيجة فشله في الحياة .

٥. ادراك الصلة المتفاعلة بين وجود الاحياء الموبوءة والمتخلفة في المدينة وظهور الجرائم فيها [٢٠].

اما اذا غاب الوعي الاجتماعي باخطار الجريمة ومعوقاتها من اذهان الشباب فانهم لابد ان يكونوا عرضة ومشروعاً للجريمة والانحراف. لذا يتطلب تعميق الوعي الاجتماعي عند الطلبة الشباب ، أي الوعي الخاص باضرار الجريمة وعواقبها .

اما الوعي القيمي فهو الشعور الذي ينتاب الافراد ازاء التمييز بين القيم الايجابية والقيم السلبية مع الربط بين توافر القيم الايجابية وهبوط معدلات الجريمة في المجتمع، وتوافر القيم السلبية وزيادة معدلات الجريمة في المجتمع . ان تعميق الوعي القيمي عند الشباب الذي يقيهم من شرور الجريمة والانحراف انما يعبر عن نفسه في النقاط التالية :

١. التمييز بين القيم الايجابية كالصدق والاخلاص في العمل والثقة العالية بالنفس والشجاعة والصبر والصراحة والعدالة والتفاؤل والايمان والمبدئية، والقيم السلبية كالانانية وحب الذات، والتكبر والغرور، والتحيز والتعصب، والطائفية والطبقية والكسل والخمول والبهتان والنميمة والنفاق .

٢. القيم الايجابية التي يؤمن بها الشباب هي اساس استقامة خلقهم ورفعة سلوكهم وقوة شخصياتهم وتجردهم من العاطفة والانفعال، بينما القيم السلبية التي يعتمدها الشباب في سلوكهم اليومي والتفصيلي هي اساس الانحرافات السلوكية والجرائم والموبقات التي قد يرتكبونها ضد الاخرين[٢١].

٣. يمكن التعرف على مباديء الفرد وقيمه من التعرف على طبيعة سلوكه وعلاقاته مع الاخرين[٢٢]. فالسلوك والعلاقات التي يكونها الفرد مع الاخرين هي خير مقياس لطبيعة قيمه الاخلاقية والسلوكية. فالشاب الذي يبتعد عن مواطن الانحراف والجريمة هو الذي يحمل القيم السلوكية الايجابية حقاً ، بينما الشاب الذي يرتكب الاعمال المنحرفة والاجرامية هو الذي يحمل القيم السلبية والضارة .

٤. حث الشباب على التدريب والتحصيل العلمي :

من العوامل المهمة التي تجنب الشباب الوقوع في هاوية الانحراف والجريمة حثهم على التدريب والتحصيل العلمي اللذين لا يشغلان اوقاتهم فحسب بل يساعدانهم على اكتساب العلم والمعرفة والحصول على التقنيات التدريبية التي تجعلهم مؤهلين على اشغال الاعمال والمهن المتخصصة التي يحتاجها المجتمع العراقي حاجة ماسة في هذه المرحلة من نموه وتطوره المادي والحضاري. علما بان اهتمام الشباب بالدراسة والتحصيل العلمي وتكريسهم الوقت والجهود للمهام التدريبية والعلمية لابد ان تبعدهم عن مواطن الانحراف والجريمة وتولد عندهم المواقف والقيم الايجابية نحو العلم والمعرفة، هذه المواقف التي تعد بمثابة الضمانة الحقيقية لوقاية الشباب من شرور الانحراف والجريمة [٢٣].

ومن الجدير بالذكر ان المجتمع العراقي يوفر التسهيلات التربوية والعلمية للشباب، هذه التسهيلات التي تتجسد في وجود المؤسسات التربوية والتعليمية في كل مكان وتوفر مبدأ التكافوء في الفرص الاجتماعية لاستثمار هذه التسهيلات، بمعنى آخر التعليم مفتوح لجميع فئات وشرائح المجتمع وان الدولة ماضية في توسيع منافذ التعليم وتنويع مجالاته لكي يتلائم مع اذواق الشباب وتوجهاتهم التربوية والعلمية ، وان لكل فرد مهما تكن خلفيته الاجتماعية أو انحداره المهني الحق في استثمار فرص التربية والتعليم المفتوحة امامه وتحسين اوضاعه العامة والخاصة من خلالها . لذا فالشباب مهما اختلفت مشاربهم واتجاهاتهم وانحداراتهم الاجتماعية والجغرافية مدعوون الى استثمار الفرص التربوية والتعليمية المفتوحة امامهم واحراز المستويات العلمية والثقافية التي يطمحون الى بلوغها .

لكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي خلقتها مخلفات العدوان والحصار والتآمر على العراق جعلت بعض الشباب مع شديد الاسف يعزفون عن الدراسة والتحصيل العلمي ويفضلون الكسب المادي السريع على الدراسة ويثمنون النقود على الشهادة والعلم والمعرفة [٢٤].وحالة كهذه ينبغي الوقوف عندها ودراسة اسبابها الموضوعية والذاتية ومعالجة مظاهرها التخريبية والهدامة معالجة جذرية شاملة. ذلك ان المجتمعات والدول والحضارات لا تتقدم بالاعمال الهامشية التي تدر

الارباح السريعة على شاغليها بل تتقدم بالعلم والمعرفة لأنها سلاح ماض تعتمده الكيانات الاجتماعية في عمليات التنمية والتقدم والتحول المخطط والهادف.

اما الجهات التي تحث الشباب على الاستفادة من التسهيلات التربوية والتعليمية المفتوحة امامهم والتي قد تنقذهم من احتمالية الوقوع في هاوية الشر والانحراف والجريمة فهي الاسرة التي تعد المدرسة الأولى للجيل الجديد، والمؤسسة التربوية والتعليمية التي يتلقى فيها الشباب دراساته ويحصل على معلوماته وثقافته، ووسائل الاعلام الجماهيرية لاسيما التلفزيون التي يتأثر فيها الشباب يومياً وتفصيلاً لا سيما خلال اوقات الفراغ، اضافة الى المجتمع المحلي ومنظماته الدينية والجماهيرية والشعبية التي يمكن ان تسهم مساهمة فاعلة في حث الشباب على التدريب والتحصيل العلمي .

واخيرا علينا تناول موضوع العلاقة بين التدريب والتحصيل العلمي للشباب ووقايتهم من الانحراف والجريمة، بمعنى اخر كيف تسهم عمليات التدريب والتحصيل العلمي في تحصين الشباب من اخطار الانحراف والجريمة ؟ الجواب على هذا السؤال يكمن في عدة نقاط اساسية لعل اهمها ما يلي :

١. تسليح الشباب بالعلم والمعرفة والثقافة لابد ان يحولهم الى عناصر واعية وملتزمة تؤدي دورها الفاعل في مواجهة الجريمة والتصدي لمواطنها الظاهرة والمستترة [٢٥].

٢. ثقافة الشباب التي يحصلون عليها من المؤسسات التربوية والتعليمية لابد ان تخلق عندهم الحصانة المبدئية والاخلاقية التي تحميهم من شرور السقوط في هاوية الانحراف والجريمة .

٣. عملية اكتساب التربية والتعليم لاتشغل اوقات الشباب فحسب بل تمكنهم من اكتساب القيم الايجابية التي تحميهم من الجريمة وتبعدهم عن مواطنها وشرورها .

٤. نجاح الطلبة والشباب في اكتساب التربية والتعليم وبالتالي الحصول على المؤهلات العلمية سيوفر لهم المجال باشغال الاعمال المهنية والادارية والانتاجية التي تدر الاموال عليهم وتشارك في عملية اعادة البناء الاجتماعي .

وهنا يتمكن الطلبة والشباب من اشباع حاجاتهم الاساسية وبالتالي الابتعاد عن الجريمة ومواطنها. الامر الذي يحمي الامن الاجتماعي ويصونه من الأخطار والتحديات .

٥. استثمار الشباب لاوقات الفراغ وتحويلها الى اوقات ترويح :

من المهام الاساسية لوقاية الشباب من اخطار الانحراف والجريمة حثهم على استثمار اوقات الفراغ وتحويلها الى اوقات ترويح يمارس خلالها الطلبة والشباب انشطة ترويحية ايجابية لها اهميتها في ملء اوقات فراغهم وابعادهم عن شرور الانحراف والجريمة وتطوير شخصياتهم وتفجير طاقاتهم المبدعة والخلاقة وزجها في عملية بناء المجتمع وتنميته في المجالات كافة[٢٦]. وقبل دراسة دور استثمار اوقات الفراغ في تحصين الشباب من الجريمة علينا تعريف مصطلحي الفراغ والترويح كمصطلحات اساسية في علم اجتماع الفراغ. الفراغ هو الوقت الذي يقضيه الفرد في ممارسة انشطة تقع خارج نطاق العمل الوظيفي، وممارسة هذه الانشطة تكون اختيارية ومن محض ارادته الحرة وتكون متواشجة مع احواله المعاشية والاجتماعية ومع اذواقه وقيمه وموقفه وفئته العمرية والطبقية[٢٧]. اما الترويح فهو نشاط اختياري اثناء وقت الفراغ وان دوافعه الاولية هي الرضا والسرور والبهجة الناتجة عن هذا النشاط [٢٨].

علينا الاشارة هنا الى ان للشباب وقت فراغ يومي يمكن الاستفادة منه في ممارسة الانشطة الترويحية الايجابية. لكن هناك عدداً من الشباب مع شديد الاسف لايعرف كيفية الاستفادة من وقت الفراغ والترويح . فهؤلاء لايفصلون بين اوقات العمل واوقات الفراغ والترويح، وغالباً ما يحولون اوقات الفراغ والترويح الى اوقات دراسة وعمل وكانما الحياة كلها تقوم على الدراسة والعمل فقط. وترجع هذه الحقيقة الى افتقار هؤلاء الطلبة والشباب الى جدول زمني يوازن بين اوقات العمل واوقات الفراغ .

ان هناك بعض الطلبة والشباب يهدرون وقت فراغهم بممارسة انشطة سلبية أو عدائية تضر بالسلامة العامة وتخل بالامن الاجتماعي [٢٩]. فمن الانشطة السلبية التي يمارسها هؤلاء خلال وقت الفراغ المحادثة المملة والمكوث في البيت والتسكع

في الازقة والشوارع والنوم الطويل والشجار مع الاخرين .. الخ. اما الممارسات العدوانية التي يمارسها بعض الشباب خلال اوقات الفراغ فهي ارتكاب الجرائم بحق الناس لا سيما ابناء المنطقة السكنية كالسرقة والايذاء والاحتيال والقتل... الخ من الاعمال المنكرة التي يدينها المجتمع ويحرمها الشرع والقانون والدين. وهذه الانشطة العدوانية التي يمارسها بعض الشباب خلال ساعات الفراغ تتميز بالسلبية والقصور وعدم القابلية على تطوير سمات الفرد وقابلياته المبدعة والخلاقة . بل ان بعض هذه الانشطة تؤثر سلباً في اخلاقية الشباب وسلوكهم الى درجة انها تدفعهم الى الوقوع في هاوية الانحراف والرذيلة والجريمة (٣٠).

ومن جهة ثانية نلاحظ ان هناك عدداً من الشباب لا يمارس الانشطة الترويحية التي يرغب بممارستها نظراً لعدم توفرها في المجتمع أو ارتفاع تكاليف مزاولتها أو احتكارها من قبل نفر من المواطنين. ان الانشطة التي يمارسها الطلبة والشباب خلال اوقات الفراغ هي مشاهدة التلفزيون وسماع الراديو والذهاب الى المقاهي والتواجد في المنطقة السكنية والمكوث في البيت واللعب في الازقة والشوارع والتردد على محلات الديسكو مع الدخول في معترك الوشاية والشغب، غير ان الانشطة الترويحية هذه هي انشطة روتينية ورتيبة وان مساهمتها في بناء الشخصية وتفجير طاقتها المبدعة والخلاقة انما هي مساهمة ضعيفة ومحدودة .

ولغرض تعميق الوعي الترويحي عند الشباب الذي يجنبهم الوقوع في مزالق الانحراف والجريمة ينبغي على المؤسسات الطلابية والشبابية كالاتحاد العام لطلبة العراق والاتحاد العام لشباب العراق زرع القيم والمباديء والممارسات الايجابية التي من شأنها ان تدفع الشباب الى تقييم الوقت واستثماره في ممارسة الانشطة الترويحية الايجابية، كما ينبغي على المؤسسات الشبابية حث الشباب على الفصل بين اوقات العمل واوقات الفراغ واستثمار اوقات الفراغ في ممارسة الانشطة الترويحية الايجابية. فضلاً عن الدور الفاعل الذي يمكن ان تؤديه المؤسسات الشبابية في استحداث الخدمات والتسهيلات الترويحية الايجابية وجعلها في متناول الجميع مع التصدي للانشطة الترويحية السلبية ومنعها وتطويق اثارها لكي لا تكون ادة للهدم والانحراف والجريمة والتخريب وتشويه الصورة الصافية للشباب في مجتمعنا المعاصر .

٦. توفير العمل والخدمات الترويحية الايجابية للشباب :

من المستلزمات الاساسية لحماية الشباب ووقايتهم من شرور الانحراف والجريمة توفير الاعمال التي تتناسب مع مؤهلاتهم العلمية وقابلياتهم ورغباتهم وميولهم واتجاهاتهم، مع توفير التسهيلات والخدمات الترويحية التي تملء اوقات فراغهم وتجلب البهجة والسرور والرضا الى نفوسهم وتمنعهم من ارتكاب الجرائم والانحرافات السلوكية ضد الافراد والجماعات والمؤسسات [٣١].

من المشكلات الخطيرة التي تواجه الطلبة بعد تخرجهم والشباب بصورة عامة عدم قدرتهم على ايجاد الاعمال المناسبة لهم وتعرضهم للبطالة لفترات طويلة . مع احساسهم بوجود التناقض بين تدريبهم وتحصيلهم العلمي وبين العمل الذي يمارسونه. اضافة الى تعقد الحياة وزيادة ضغوطها ومطاليبها وارتفاع مستويات المعيشة والتضخم المالي العالي مع محدودية الرواتب والاجور لاسيما بالنسبة للعاملين في القطاع الاشتراكي مما يسبب ذلك انخفاض القوة الشرائية وعدم قدرة الشباب على تحقيق المستويات الاقتصادية والمعاشية التي تليق بهم. اما اسباب المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الشباب وعلى رأسها البطالة فهي الغاء العديد من الوزارات المهمة ومؤسسات العمل الحساسة بعد سقوط الدولة العراقية يوم ٢٠٠٣/٤/٩ والتضخم المالي وارتفاع الاسعار وسيادة اقتصاد السوق وارتفاع تكاليف السوق وارتفاع تكاليف المعيشة الى مستويات خيالية وتشعب الحياة وتفاقم ضغوطها. اضافة الى كبر حجوم العوائل ومحدودية مدخولاتها الشهرية او السنوية . اضافة الى رغبة بعض الطلبة والشباب في ممارسة الاستهلاك المظهري وتبذير الاموال في شراء حاجات كمالية لا فائدة منها . ناهيك عن ارتفاع تكاليف الزواج والسكن وضعف تعاون افراد العائلة الواحدة في سد حاجات ابنائها الى المواد الاساسية والكمالية . كل هذه المشكلات الاقتصادية التي يواجهها الطلبة والشباب لا سيما بعد دخول قوات الاحتلال وسقوط الدولة العراقية يوم ٢٠٠٣/٤/٩ تقود بعض الطلبة والشباب ممن يفتقدون الى التنشئة الاجتماعية القويمة والقيم الاخلاقية والسلوكية الايجابية الى الانحراف والجريمة. لذا يتطلب من القادة المسؤولين مواجهة هذه المشكلات عن طريق خلق الاعمال للشباب وتوفيرها لهم ومساعدتهم في

الدخول اليها، مع تحديد مستويات الاسعار وخلق الية فاعلة للتوازن بين معدلات الاسعار ومعدلات الرواتب والاجور .

ومن المشكلات التي يواجهها الشباب والتي قد تكون سبباً واضحاً للانحراف والجريمة عدم ممارسة نسبة كبيرة منهم الانشطة الترويحية كالمطالعة وزيارة الاماكن الاثرية والتاريخية والانتماء الى النوادي والجمعيات الرياضية والاجتماعية وممارسة الهوايات المفيدة وممارسة الانشطة الرياضية والفنية .. الخ بل يمارسون الانشطة الترويحية السلبية التي ذكرناها في المبحث السابق وممارسة الانشطة الترويحية السلبية قد تكون سبباً لانحرافهم وجنوحهم وعدم استعدادهم على اداء التزاماتهم تجاه وطنهم وامتهم وفشلهم في حياتهم الدراسية والوظيفية والاجتماعية[٣٢]. لذا اذا اردنا حماية الشباب من اخطار الانحراف والجنوح علينا توجيههم نحو ممارسة الانشطة الترويحية الايجابية التي تطور شخصياتهم وتنمي مواهبهم وقدراتهم التي يحتاجها الوطن في هذه الظروف العصيبة حاجة ماسة . وفي الوقت نفسه يتطلب ارشادهم ونصحهم على الامتناع عن ممارسة الانشطة الترويحية السلبية والضارة .

لذا فصيانة الشباب من اخطار الانزلاق في هاوية الجنوح تتطلب تحقيق ما يلي :

آ- العمل على تمكين الطلبة المتخرجين والشباب بصورة عامة من احتلال مواقع العمل بعد اكمال الدراسة مباشرة وذلك لسببين اساسيين هما:

أ- الاستفادة من دراستهم وتخصصاتهم العلمية التي تلقوها في المعاهد والكليات والجامعات وكسب مقومات العيش التي تساعدهم على الاستقلالية وبناء حياتهم الزوجية والاسرية وتجنبهم الوقوع في مشكلات الشر والانحراف والجريمة .

ب- حث الشباب على تحقيق الموازنة بين انشطة العمل وانشطة الفراغ والترويح. ذلك ان هذه الموازنة تمكنهم من التميز في مجالات العمل، والاستفادة من الوقت الحر في تطوير الشخصية وصقل سماتها

الاساسية لكي تكون مؤثرة في الجماعة والمجتمع. وهنا يكون الطلبة والشباب في منأى عن الانحراف والجريمة .

ج- توفير الانشطة الترويحية الايجابية التي يرغب الشباب ممارستها لتملء اوقات فراغهم وتجنبهم الوقوع في شباك الجنوح والجريمة .

ثانياً: التوصيات والمعالجات :

١- ضرورة توعية وتثقيف الشباب بأخطار الجريمة وآثارها السلبية على الفرد والجماعة والمجتمع لكي يبتعدوا عنها ويتجنبوا مظاهرها الضارة والمخربة. اما الجهات المسؤولة عن تنفيذ هذه التوصية فهي الاسرة ووسائل الاعلام الجماهيرية والمساجد والجوامع والمعاهد والكليات والجامعات والمنظمات لاسيما منظمات المجتمع المدني .

٢- ضرورة قيام الاسرة والمدرسة والكلية والجامعة بمنح الابناء التربية الاجتماعية والاخلاقية الجيدة، التربية التي تولد الحصانة المبدئية والاخلاقية عندهم والتي تصونهم وتحميهم من الارتماء في احضان الجريمة.

ان الاسرة ينبغي ان لا تهتم بتوفير مستلزمات العيش للابناء فحسب بل ينبغي ان تهتم بتقويم الابناء واصلاحهم وزرع الاخلاق والقيم الجيدة عندهم. كما ان المدرسة والكلية يجب ان لاتهتم بمنح الطلبة المعلومات فقط بل يجب ان تشارك في بناء شخصياتهم وزرع القيم الجيدة عندهم لكي تكون المدرسة مكملة للاسرة، والاسرة مكملة للمدرسة. واذا ما كانت التنشئة الاسرية والتربية المدرسية جيدة وفاعلة فان الابناء يكونون صالحين وبعيدين عن مواطن الانحراف والجريمة. وهنا يتحقق الامن الاجتماعي من خلال الجهود التي تبذلها الاسرة والمدرسة والكلية والجامعة.

٣- العمل على تطوير أساليب وفنون التنشئة الاجتماعية التي تعتمدها الاسرة وبقية المؤسسات التربوية وذلك من خلال زيادة معلوماتها وثقافتها

بأصول التنشئة الاجتماعية وعملياتها وقيمها ومراحلها والمسؤولين عن ادائها .

٤- على الاسر استعمال اساليب الثواب والعقاب في تنشئة الابناء وصقل مواهبهم، كما يتطلب منها انتهاج اساليب تنشيئية تجمع بين اللين والشدة في تربية الابناء والاشراف عليهم .

٥- ضرورة قيام الشباب بأحترام الزمن والعمل على استثماره استثماراً جيدا يخدم المسيرة التنموية والحضارية للمجتمع، مع ضرورة مبادرة الشباب بممارسة الانشطة الترويحية الايجابية والابتعاد عن الانشطة الترويحية السلبية .

٦- ضرورة تحسين الاوضاع الاقتصادية والمعاشية للشباب من خلال توفير الاعمال لهم وزيادة مدخولات الاسرة ومواجهة ظاهرة التضخم المالي ورفع القدرة الشرائية للافراد والجماعات . اضافة الى حث الشباب على الابتعاد عن الاستهلاك المظهري واعتماد مباديء التقشف والاقتصاد في النفقات وترشيد الاستهلاك .

٧- تعميق الوعي الاجتماعي عند الشباب من خلال توسيع قاعدة المعلومات الاجتماعية التي تسخر لخدمتهم مع زرع القيم الايجابية عندهم وحملهم على الابتعاد عن القيم السلبية والضارة والتخلي عنها .

الخلاصة والاستنتاج

يعد الشباب من اهم الفئات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع العراقي المعاصر نظراً للادوار الانتاجية والخدمية والعلمية والامنية التي يؤدونها والتي لايمكن الاستغناء عنها بأية صورة من الصور، ويؤدي الشباب ادوارهم هذه بنشاط وفاعلية وهمة تفوق تلك التي تقوم بها الفئات الاجتماعية الاخرى لا سيما متوسطي العمر والمسنين. ذلك ان الشباب بحكم أعمارهم الفتية اكثر قدرة وكفاءة على تحمل

المسؤوليات والصعاب التي يواجهونها في المجتمع الحديث واكثرها تكيفاً وانسجاماً مع الظروف والمعطيات والتغيرات التي يشهدها المجتمع [٢].

فضلاً عن كون الشباب يعيشون فترة زمنية اطول من الفترة التي يعيشها متوسطو العمر والمسنون .لهذا يعتمد مجتمعنا الناهض على الشباب اعتماداً كبيراً لأنهم الخزين الحيوي الذي لاينضب، الخزين الذي يرفد الوطن والامة بالطاقات والامكانات والكفاءات. في الاوضاع الراهنة التي يعيشها مجتمعنا الناهض، اوضاع الديمقراطية والحرية والبناء ومواجهة موجات العنف والارهاب والتخريب التي راحت تهدد أمن واستقرار وطمأنينة شعبنا ووطنا وأمتنا ارتفعت معدلات الجنوح والجريمة لاسباب معروفة وتفشت مظاهر الضياع بين اوساط لايستهان بها من الشباب ومنهم مع الاسف الشديد عدد من طلبة الاعداديات والمعاهد والكليات والجامعات . والاسباب المسؤولة عن تفشي مظاهر الانحراف والضياع بين اوساط الطلبة والشباب ترجع الى الفقر والعوز المادي وسوء التنشئة الاسرية والمجتمعية وضعف وسائل الضبط الاجتماعي وتفاقم مظاهر الاحباط والعدوان والتقاطع بين أهداف وتوجهات الجماعات المؤسسية التي ينتمي اليها الطلبة والشباب وصعوبة مجريات الحياة وتفاقم الضغوط المسلطة على الافراد التي غالباً ما تنتج في ظهور الامراض العصابية والذهانية، هذه الامراض التي قد تكون من اسباب الجريمة والانحراف. كل هذه الأسباب الموضوعية والذاتية تفسر ضياع بعض الشباب وسقوطهم في هاوية الانحراف، في الوقت الذي يطمح القادة والمربون والمصلحون ان يكون الشباب عنصرا فاعلاً في تحصين المجتمع من الجريمة وتحريرهم من شرور التمرد والعصيان والعنف والارهاب بحكم حسهم الوطني وحماسهم الجماهيري وثقافتهم الجديدة وتحصيلهم العلمي الرفيع الذي يفوق ذلك الذي يتمتع به الاباء والاجداد.

لذا علينا نحن الاساتذة والمربون والمصلحون ان نهتم بتحصين الشباب من شرور الانحراف وتحويلهم الى عناصر فاعلة في حماية المجتمع من الجنوح والشذوذ والجرائم التي اخذت تتحدى كيانه وتسيء الى سمعته وتخل بأجهزته الضبطية والامنية.

ان هذه الدراسة تهتم بسبل تحصين الشباب من أخطار الانحراف والضلالة. وهذه السبل يمكن تسميتها بالمهام الوقائية للحماية والتي يمكن درجها بالنقاط التالية:

١. اشباع الحاجات الاساسية والاجتماعية للشباب.

٢. تنمية اساليب التنشئة الاجتماعية للشباب.

٣. تعميق الوعي الاجتماعي والقيمي عند الشباب .

٤. حث الشباب على التدريب والتحصيل العلمي.

٥. استثمار الشباب لاوقات الفراغ وتحويلها الى اوقات ترويح .

٦. توفير العمل والخدمات الترويحية الايجابية للشباب.

علماً بان هذه المهام الوقائية للحماية تعد بمثابة التوصيات والمعالجات التي من شأنها ان تحصن الطلبة والشباب من أخطار الانحراف والضياع. اما منهجية البحث العلمي فهي كالاتي :

يستخدم بحث المستلزمات الأساسية لحصانة الشباب منهجين أساسيين هما المنهج الاستنتاجي أو الاستقرائي (Inductive Method) والمنهج الاستنباطي (Deductive Method).وقد ساعد المنهجان الباحث في جمع البيانات والمعلومات وتحليلها في تفسير الجريمة واسبابها وطرق الوقاية منها. ينطوي المنهج الاستنتاجي على حقيقة التوصل الى العمومية وهي الجريمة من الخصوصية وهي العوامل المسببة لها كالحاجة المادية والفقر وسوء التنشئة الاجتماعية وضعف وسائل الضبط الاجتماعي والاحباط والعدوان.. الخ . كما ان المنهج الاستنتاجي يساعدنا في التعرف على العمومية وهي الوقاية من الجريمة من الخصوصية التي هي العوامل المساعدة على الوقاية كاشباع الحاجات الأساسية والاجتماعية وتنمية أساليب التنشئة وتعميق الوعي الاجتماعي والقيمي عند الشباب.

اما المنهج الاستنباطي فيخدم البحث من خلال التوصل الى الخصوصية بعد معرفة العمومية . فالعمومية هي الوقاية من الجريمة، بينما الخصوصية هي العوامل والمتغيرات المطلوب توفرها لبلوغ الوقاية من الجريمة كاشباع الحاجات المادية

وغير المادية وتطوير اساليب التنشئة الاجتماعية وحث الشباب على التدريب والتحصيل العلمي واستثمار الشباب للوقت الحر .. الخ .

ان استخدام كلا المنهجين الاستنتاجي والاستنباطي قد مكن الباحث من التعرف على ماهية العوامل والمتغيرات التي من شأنها ان تحصن الشباب من الجريمة .

وهناك توصيات اجرائية لحصانة الشباب وحمايتهم من الشرور والانحرافات والتشويهات التي قد تلحق بهم فيما اذا ترجمت مفرداتها الى صيغ عمل اجرائية .

مصادر البحث :

(١) اسماعيل ، محمد عماد الدين (الدكتور)، مشكلات الشباب الاجتماعية في الدول العربية الخليجية والاوضاع المتغيرة، ندوة الشباب والمشكلات المعاصرة في المجتمع العربي الخليجي المنعقدة في بغداد خلال الفترة ٢٣-١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٣) Anderson. A. Youths and Society , London , Longman , 2000 , P.14.

(٤) الحسن ، احسان محمد (الدكتور). الشباب بين ما تريده لهم الامة العربية وما يريده لهم الاعداء ، بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٦) الحسن ، احسان محمد (الدكتور). الممارسات السلوكية المدانة عند بعض الطلبة والشباب في اعقاب حرب الخليج الثانية، الندوة الطلابية التي عقدها الاتحاد الوطني لطلبة العراق في يوم ١٩٩٣/٦/١٤ ، ص ١٢ .

(٧) غيث، محمد عاطف (الدكتور). مجالات علم الاجتماع المعاصر، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ١١٢ .

(8) Frolov, I . Dictionary of Philosophy, Progress Publishers , Moscow , 1984, P. 194 .

(9) Ibid , P. 78 .

(10) Hall, P. The Social Services of Modern England, International Library of Sociology and social Reconstruction , London , 1969 , P.8 .

(11) Ibid . P. 9 .

(12) Roucek , J. and L. Warren . Sociology , Littlefield Co., lowa , 1957 , P.41 .

(13) Bertrand , A. Basic Sociology , Appleton Century , New York , 1967 , P. 36 .

(14) Ibid., P.37.

(15) Zanden , James . Sociology : A Systematic Approach , New York , The Ronald Press , 1965 , P. 242 .

(١٦) الحسن، احسان محمد(الدكتور). علم اجتماع العائلة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٥ ، ص٨٩ .

(17) Miller , W. Lower Class Culture As generating Milieu of Gang Delinquency , Social Issues , Vol.4, 1956 , P. 5.

(18) Stewart , E.W. The Human Bond , New York , John wiley and Sons , 1987 , P. 28 .

(19) Ibid ., P. 29 .

(٢٠) الحسن، احسان محمد (الدكتور). مظاهر التنمية والتقدم في المجتمع العربي، دراسات عربية ، العدد (٥) آذار ، ١٩٨٨ ، ص١٢ .

(21) Bloch , H. and G. Geis . Man , Crime and Society , New York , Random House , 1970 , 2nd ed., P. 444 .

(22) Davis , K Human Society , New York , the Macmillan Press , 1967 , P. 52 .

(23) Ibid ., 53 .

(24) Bloch , II. And Geis . Man , Crime and Society , P. 449.